(٢٣)
العمل والنجاح ورسالة إلى ابنتي الجامعية

النجاح حاجة إنسانية ودافع غريزي في الإنسان فالمخلوق يتحرك ويتحفز بغرض تحقيق النجاح وكل امرئ في مجال عمله ينحو نحو تحقيق هذا الهدف لأنه دافع وفطرة فيه وحافز يسعى إلى تحقيقه في كل زمان ومكان ومن كافة المستويات العملية والنظرية ولقد علمتني تجربتي أن طريق النجاح ليس معبدًا ميسورًا بل طريقًا وعرًا تفترشه الأشواك وتحفه الصعاب والعراقيل ولن يتأتى ذلك بغير الصبر والإيمان بقيمة الكفاح في العمل والارتفاع بمستوى الأداء وذلك عن طريق البذل والتضحية واستثمار الوقت والاعتماد على الله من قبل ومن بعد. والتفكير في النجاح تلازمه القدرة على العمل والابتكار لأننا نعلم بطبيعتنا أن النجاح قرين العمل والعكس صحيحًا ولو كان الإنسان غير عامل أو مجتهد في الابتكار والإبداع ولا يمتلك مهارات خاصة تميزه عن غيره من مخلوقات الطبيعة لما قامت حضارة على وجه الأرض ولما استطاع العقل الإنساني أن يجد فرصته في الاختراع والتقدم منذ آلاف السنين. وما نشاهده اليوم من مبدعات العقل الإنساني ومنجزات الحضارة البشرية إن هو إلا محصلة العمل والجهد الإنساني المدفوع بحافز النجاح والتقدم على مر العصور. ودائمًا يعمل الإنسان. فالإنسان عامل وديناميكي والعمل صفة له وعلامة على وجوده وقد أشار الدين إلى العمل والعاملين معًا ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۖ﴾ فالعمل عبادة وطاعة ومسايرة للفطرة الإنسانية العظيمة والعمل خلق وتجديد وابتكار موصول وهو يحتاج لكفاح المرء المتصل الدؤوب الذي لا يكل ولا يمل من دوام الكفاح فقيمة العمل تعادل قيمة الحياة وقيمة الحياة تتمثل في العمل، وحلاوة النجاح تترتب عليه فالعمل كرامة وشرف

وهو إنسانية وحرية وتسامي بالنفس المؤمنة والعقل الفعال وهو استعلاء بالإنسان الخلاق الذي أنعم الله عليه بالعقل والإرادة وأورثه الأرض وجعله متحركًا عازمًا مريدًا فعالاً بناءً متفاعلاً وناشطًا ومبدعًا منذ بداية الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولما كان العمل قاعدة النجاح وكان النجاح قرين العمل وطريقه الوحيد وكان العمل رمزًا للنجاح ودافعًا له فيجب علينا الحرص عليه لكي نحقق النجاح ولكن أي عمل ذلك الذي يحقق النجاح؟ إن العمل العادي الروتيني وحده غير كاف بتحقيق النجاح إن لم يكن مصحوبًا بلمسة الإبداع والابتكار وإضافة الجديد والطريف فالذين يؤدون عملهم بمهارة واقتدار وفن في الأداء يحققون نجاحًا أكثر ممّن يؤدونه بشكل روتيني وكأداء لواجب فحسب فيعملون وهم يفتقدون الحافز والهمة والنشاط والدقة إن الواقع يشهد بأن العاملون غير متساوين في طريقة الأداء أو في سرعة أو دقة الإنجاز فيما يكلفون به من أعمال ومهام وهنا يأتي التفاوت في الأداء بين شخص وآخر وهو يتوقف على المقومات الشخصية والعوامل النفسية المحيطة بصاحب العمل وهذا ما يكشف عنه واقع الوظائف والمهن والمهام العملية للإنسان وعليه فإن تقييم الأداء هو المعول الأول الذي يترتب عليه النجاح في العمل من عدمه فليس كل من يؤدون أعمالهم العادية يعدون من الناجحين لأنهم لا يؤدون إلا ما يكلفون به فحسب وهنا يبرز التساؤل عن أهمية تقييم الأداء لأصحاب العمل الذين هم نحن العاملون من أجل الحياة والمبدعين من أجل تحسين الواقع ورفع شأنه وهكذا يا ابنتي تصبح قيمة الحياة ماثلة في النجاح ويصبح العمل هو صنوان النجاح ووجهه الآخر وإذا كان العمل له أهمية كبيرة في حياة كل منا فإن أهميته تزداد بشكل كبير في رحلة العلم والتعليم الذي يحتاج لكِ بكل ما تحملينه من ذكاء وفطنة ومن شخصية وقدرة على العمل والإبداع فرحلة التعليم العالي يا ابنتي المتطلعة تحتاج إلى الوقت كما تحتاج لصفاء الذهن فضلاً عن النشاط والعمل حتى تبرزين وتنجحين وإذا

كنت في كفاحك مع التحصيل الدراسي وتلقي التعليم تحلمين بمستقبل كبير فعليك دائمًا باغتنام الفرصة وسط زخم العمل العلمي والثقافي ومزاملة الكتاب وإلا فلن تحققين مكسبًا كبيرًا فالزمن يا ابنتي هو نفس الزمن الذي نحيا فيه جميعًا فمن ينام يتساوى زمنه مع من ينشط ويتفاعل فالزمن ثابت لا يتغير ونحن الذين نتحداه ونعته بالسريع الخطى، والعجول، والمنسل أي الذي ينسل منا وأنجح وسيلة وأنجح طريق للحفاظ على هذا الزمن من التسرب والهروب هو العمل والدأب. ومع أنه قد يسرع أثناء لحظات العمل والكفاح لكن نتائجه سرعان ما تثمر في النهاية نجاحًا وتفوقًا فتمرسي يا فتاتي على ترويض الوقت ورشدى استثماره فيما يفيدك فما هي منظومة اليوم الجامعي بالنسبة لك أنها رحلة كل صباح لحضور المحاضرات في الصباح وحتى الظهيرة ثم الذهاب للمكتبة فيما يتيسر من الوقت للحصول على المراجع أو الذهاب لمعمل الكمبيوتر للتزود بالمعلومات أو الاستراحة لأخذ المشروبات على المقاعد الخشبية المخصصة لك وسط حدائق كليات الطالبات وهكذا يمضي بك الوقت داخل حرم الجامعة وماذا بعد مغادرتك لهذا الحرم؟ ماذا تقدمين لنفسك ولعقلك هل أنت عازمة على المضي في توظيف الوقت والانسلاخ من مسؤولياتك باللجوء إلى المكالمات الهاتفية الطويلة أو النوم العميق للهروب من الواقع أو الخروج للتسوق أو التنزه بغرض استنفاذ الوقت أم أنك عازمة على التحكم في قيادة وقتك بشيء من التنظيم المحكم بين ساعات النوم والراحة والترفيه والتحصيل إن الإنسان المتحضر لا يستطيع العمل والإنجاز بدون تحديد للزمن الذي يعمل فيه ولو ترك الإنسان لحاله وعلى سجيته وهواه أثناء أداء العمل لما استكمل مشروعًا ولما قامت حضارة على وجه الأرض فالوقت هو القالب الذي يتشكل فيه العمل أيًا كان نوعه ولما كان هذا الوقت غير محسوس فقد يسهل تسلله من بين أيدينا إذا لم نحسن استغلاله وقيادته وتعد طريقة "الجدول المكتوب" من أهم الوسائل التي تساعد على تنظيم الوقت بشكل دقيق وهي

طريقة تعتمد على الحساب الدقيق للوقت منذ استيقاظك في صباح كل يوم وحتى موعد نومك في كل مساء بحيث توزعين طبقًا لهذا الجدول ساعات العمل بنسب معينة على مدار الأسبوع بحيث يتخللها ساعات النوم والترفيه التي يجب أن تكون على مدار ساعة أو ساعة ونصف على الأكثر على أن تضم كل من الراحة والترفيه معًا كما يجب في هذا الجدول أن تتجنبي استذكار مساق واحد على مدار الأسبوع لأن تنوع المساقات يعطيك مزاجًا نفسيًا عاليًا ويشجعك على زيادة ساعات العمل فتشعرين بالراحة العقلية وتحصّلين جيدًا وهنًا تصبح طريقة التحصيل عن طريق الجدول المكتوب ذات جدوى في تحصيلك الدراسي وهكذا يصبح تنظيم الوقت بحسب جدول موضوع أحد الطرق الهامة للتحصيل الجيد وهكذا تجيدين عن طريق هذا الجدول الدقيق والجاد والعملي "فن التحكم في الوقت والتعامل معه" وهذا الفن يعني إجادتك لصياغة وترتيب وقتك بشكل جاد وعملي ولم تضيعيه سدى بل استثمرى لحظاته وهناته في كل ما يفيدك وأغلقت أبواب العجز والكسل وفتحت أبواب النشاط والكفاح الممتع الذي تحصدين من خلاله ثمرة مجهودك فيما تحصلينه من درجات التميز والنجاح واعلمي يا ابنتي أن العمل حاجة ضرورية وهو مطلب ديني فاعملي جيدًا كما يحثنا الله عز وجل الذي قال في كتابه العزيز الحكيم: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ صدق الله العظيم

ولا تؤجلي عمل اليوم إلى الغد فإن الغد يوم العاجزين وأعلمي أن الوقت كالسيف إن لم تقطعيه قطعك وحوزى على الوقت بثمراته والعمل بكمالاته والنجاح بأمنياته. إن تربيتنا لأبنائنا يجب أن تقوم على تعويدهم على محبة العمل والإقبال عليه وحب العلم والمعرفة والممارسة الشغوفة للقراءة منذ الصغر وعمل الواجبات المطلوبة، وتشجيع الصغار على اقتناء الكتب داخل مكتبات تضم ما يرغبون فيه من كتب الدين والأساطير والبطولة والخيال العلمي

والألعاب فينشئ الشباب منذ نعومة أظفارهم وهم محبون للعمل والقراءة وإذا أوكلنا لهم إنجاز بعض الأعمال وأخفقوا فلا نحاسبهم حسابًا شديدًا أى نعاقبهم بعنف حتى لا نقتل لديهم المبادأة والحماس للعمل والتطوع الإرادي. ونحاول بقدر المستطاع غض النظر عما يقعون فيه من أخطاء إذ أنه لا يجب معاقبتهم ولومهم الدائم على هذا الإخفاق لأننا بذلك تكرس فيهم عقدة الذنب والخوف من العمل والتردد في اتخاذ القرار والمبادأة الجادة والتصميم على العمل الفوري والمثمر كما نحملهم مالا طاقة لهم به وهكذا ينشأ الأبناء وهم كارهون للعلم والتعليم هيابون من ممارسة الثقافة قلقون من الدخول في تجربة الزراعة والتعلم وربما مجال العمل ذاته إذا أتيحت لهم فرصة للعمل بعد تخرجهم من الجامعة ولا شك فإن مشكلة التقاعس والإحجام عن العمل والأداء والعمل بغير نية الصدق والإبداع هي من الأسباب التي تلقي بظلالها على نتائج العمل الإداري والاجتماعي كذلك لأن الشخص الذي لا يعمل لا ينتج ولا يبدع وبالتالي لا يمكن الاستفادة من قدراته أو من نتائج أعماله وإذا كان العمل المكلف به الأبناء هو العمل العلمي أو الدراسة فإننا لا نفتأ نكيل لأبنائنا الاتهامات بالتقصير والسلبية أو تخويفهم من العلم ونتائجه على مستقبلهم وكأن هذا العلم الذي يدرسونه لكي يحصلوا على شهاداتهم شبح مخيف أو حِملٌ ثقيل على قلوبهم وعلى قلوبنا قبل منهم وهكذا يتربى أبنائنا وهم كارهون للعمل العلمي ولو كان هذا العمل يتعلق بمستقبلهم فيكرهوا تحصيل التعليم لكل عمل يثير في نفوسهم ذكرى الألم والندم والفشل كما كانوا يسمعون من الآباء فيهابون من الدراسة ومن ممارسة الثقافة ويقلقون من الدخول في تجربة الدراسة والتعلم والامتحان ولا شك فإن مسؤولية قلق الامتحان إنما تقع دوافعها وأسبابها على سوء معاملة الآباء لأبنائهم وإشعارهم بالقلق على مستقبلهم وتوجيه الأسئلة الدائمة إليهم عن أحوالهم العلمية ومدى استفادتهم من دروسهم وما هي نتيجة مجهودهم في التحصيل لكي يحصلوا على نتيجة عالية

ومن ثم يسلكون مسلكًا قد يسيء إلى نفسية أبناءهم بالتشديد عليهم ومراقبتهم طوال الوقت حتى يحققوا أمنيات الآباء قبل أمنياتهم الخاصة. وهكذا يشعر الأبناء بالتوتر الشديد نتيجة لشعورهم بخوف الآباء وممارساتهم العصبية والرقابية عليهم وإذا نظرنا إلى ماضي أبنائنا الشباب وجدنا أنهم ومنذ طفولتهم كانوا مجبورون على الذهاب إلى المدرسة رغم تمسكهم بالبقاء في حضن الأم وتحت عين الأب فيصاب الطفل بأزمة نفسية تعوقه عن العمل وتقبل الواقع وبالتالي تحدث فجوة بين الطفل والعملية التعليمية أو الأداء المثالي وبمرور الزمن ينتقل الطفل من مرحلة إلى أخرى فيصبح تلميذًا سلبيًا هيابًا يخشى من المبادأة والإبداع لأن تجاربه السلبية تظل ماثلة أمامه تجسد تجربته الخاصة بالتعليم والعمل والأداء والتي تترك بصماتها عالقة على هذه التجربة الخاصة خصوصًا شخصيته وهكذا تظل مشكلة الهروب من مسؤولية العمل من أهم المشكلات التي تطرح للمعالجة على بساط البحث في علم النفس والتربية والتعليم حيث أن منشأها إنما يرجع أولاً وأخيرًا إلى معرفة أسبابها ودوافعها القديمة والنفسية منذ سن الطفولة المبكرة وهكذا فيجب على الآباء والمعلمين والتربويين الانتباه إلى هذه العلاقة بين البناء النفسي والتربوي للأبناء وبين النجاح في أعمالهم والتوجه إلى الإبداع والتميز أي النجاح إن العمل يا ابنتي هو النجاح لأنه هو الحياة وهو الديناميكية ولن يصبح الإنسان جدير بالحياة بدون الحركة التي تدفع للعمل والإنتاج ليس ذلك فحسب بل تدفع للإبداع والتميز وكثيرًا من الشركات والمؤسسات العالمية تقرر جائزة للموظف المثالي والمبدع ويكون من أول شروطها هو الإبداع والتميز والمثالية في الأداء ولا شك فإن حضارة المجتمعات ونجاح الأفراد إنما يقاس بمدى مقدار الجهد الذي يبذلونه في العمل وكفاءتهم في الأداء والسرعة في الإنجاز والوعي بإبعاد العمل ونتائجه ومعالجة سلبياته حتى يكونوا دائمًا في مقدمة الناجحين والمتميزين إداريًا وعمليًا وهكذا يتوقف على العمل والأداء مستوى الكفاءة التي تأتي من

الالتزام والانضباط والدقة وسرعة إنجاز التكليفات والمهام وإعطاء العمل حقه وغير ذلك من مقاييس وأدوات النجاح العملي فتعودي يا ابنتي على مراعاة وقتك والاهتمام بعملك فحققي ذاتك فيه واخلصي في الإبداع من خلاله ومارسي أقصى ألوان فنونك وتفكيرك في إخراجه في أحسن شكل ممكن وكوني صديقه العمل المحبة والملتزمة يكن لك العمل صديقًا مخلصًا ومنتجًا واظهري للعمل النشاط والدوام يبرز لك التألق والكمال فالعمل هو البعد النهائي الذي تظهر فيه بصماتك ويكون علامة عليك وإشارة لك ونتيجة لجهدك يبشرك دائمًا بالنجاح فلا تتكاسلي عن أداء واجبك ولا تخضعين لوطأة الزمن ولا تنفعلين بما هو خارج نطاق العمل المكلفة به وكوني جادة ملتزمة صبورة ومثابرة مجتهدة ومعطاءة فياضة بالإبداع والجديد حريصة على وقتك واهبه ذاتك لعملك بما تملكين من مواهب إبداعية وقيادية. وحاولي امتلاك العمل يمتلكك وتملكين بامتلاكه ناصية النجاح والتفوق دائمًا واذكري الله في أثناء العمل يقف إلى جانبك ويمدك بالزاد الروحي الدافع إلى الصبر إلى درجة الكفاح واذكري الله .. يذكرك وتوكلي عليه دومًا يعينك حتى يطمئن قلبك بالنجاح وتحقيق التميز والكمال ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ﴾ صدق الله العظيم.

(٢٤)
تفسخ العلاقات الإنسانية بين صراع العصر وضعف الإيمان

يحتاج الإنسان للآخرين تمامًا كما يحتاج لذاته وذلك لأنه لا حياة بل ولا وجود للذات أصلاً بدون الآخرين الذي يحيا بالضرورة معهم ويحتاج لهم ويحتاجون إليه. والحاجة للآخرين تعد مطلبًا ذاتيًا يسعى له الفرد لتأكيد ذاته وإثبات هويته ووجوده من خلال حاجة الآخرين إليه والإنسان مخلوق اجتماعي تربطه بأقرانه مجموعة من الصلات والعلاقات المتبادلة والمتشابكة والمعقدة ولا يمكن تقييمه اجتماعيًا بدونها وذلك لاستحالة الحياة بدون الآخرين ممن يمثلون البعد الاجتماعي للذات. ولم نسمع خلال عصور التاريخ من القديم إلى الحديث عن إنسان عاش وحيدًا متفردًا في عزلة عن أقرانه من بني جنسه ذلك لأنه مفطور على الحياة الاجتماعية والعيش داخل الجماعة ابتداء من الأسرة والعائلة .. والمجتمع المحلي ومجتمع الوطن الأم فالمجتمع العالمي الذي يحيط به ويترتب على هذه الحالة أن حالة الفرد النفسية تتجه دائمًا إلى القرين وترصد تصرفاته وأفعاله تجاهها حيث تتبادل المنافع والمصالح وتتعدد وتتنوع باختلاف الأفراد ومدى الصلة التي تربطهم ببعضهم البعض. ولما كان الإنسان في حاجة طبيعية إلى الآخر كي يشاركه وجدانيًا ويأتنس له ويقاسمه ملمات الحياة ومباهجها كما يتبادل معه المشاعر والخدمات والمصالح فقد دعت كافة الأديان السماوية إلى احترام الآخر ومساعدته والتواصل معه. ودائمًا ما تقاس الأفعال الإنسانية في ضوء تصرفات الآخرين فتتنوع وتتباين باختلاف الأفراد ومدى الصلات التي تربط بينهم وهنا يتكون الاجتماع الإنساني وتقوم العلاقات والصلات أو الروابط الاجتماعية التي تسمى بالعلاقات الإنسانية أو الروابط

الاجتماعية وإذا تناولنا هذه الصلات أو الروابط نجدها تبدأ من الصلات الأسرية والأسرة – كما نعلم – هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ثم تتدرج العلاقات من الأسرة إلى العائلة فالعلاقة الخاصة بالجيران وأهل الحي والأصدقاء ثم العلاقات الاجتماعية على المستوى الإنساني كمعرفتك بشخص لا يمت لك بصلة قرابة أو جيرة أو صداقة وهكذا تتسع دائرة العلاقات بين الفرد والآخر.

وتتميز الأسرة باعتبارها مدارًا لعلاقة وثيقة وأولية بين أفرادها بالقداسة والأهمية وتبدو العلاقات بين أفرادها ذات بعد ديني كبير كما جاء في كتاب العزيز الحكيم: ﴿ ... ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [سورة البقرة – آية ٢٧] إن المشاعر النبيلة من الحب والإخلاص والوفاء والصدق في المشاعر فضلاً عن العطاء والتضحية إنما تبدأ من الشعور بالأسرة عند الشخص وهي المشاعر التي تربي عليها داخل الأسرة ومارسها تجاه العائلة والأقارب بدءً من علاقته بأفراد أسرته كالأب والأم والأخوة وعليه فالأسرة والعائلة هي التي تزكي مشاعر الحب والولاء وهي التي تأجج الشعور بالانتماء والغيرة والتعاون والمؤاخاة والتضامن. وإذا كان لنا أن نبحث في العلاقات الحالية بين أبناء الجنس البشري ونحن في بداية عصر جديد اتسعت فيه مساحة العلم والمعرفة وازدادت محصلة المعارف الإنسانية بالكون المترامي الأطراف وأصبحت الآلية سمة من سماته فإننا نبدأ بخير وأفضل ما يجب البدء منه وهي علاقة الأسرة والعائلة فتقابلنا مشكلة تفسخ العلاقات ونحاول من خلال هذا العرض المقالي أن نبين أسبابها أو دوافعها كما نكشف عن نتائجها وكيفية تلافيها فما هو الحال الذي آلت إليه هذه العلاقات الطبيعية بين بني الإنسان في ذلك العصر، وما هي الأسس التي يجب أن تبني عليها مثل هذه العلاقات وعوامل تقويتها.

ولماذا اتسعت المسافة بين الإنسان وأخيه الإنسان، بين الشخص وأقاربه وأحيانًا بين الأخ وأخيه أو الأخت وأختها وأين ذهب الخير بين الناس لقد قال عنه الرسول ﷺ في حديثه الشريف:– ((الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)) كما تغني به الشعراء القدامى وهم يشيرون إلى صلة الرحم ودورها في حياة العربي المسلم لقد قال الشاعر القديم:– ((ووقر كل من كبُر بذي رحم لو لم يكن قبل واصلا ∴ إذا رعى صلة في الله أو رحما)). إن ما يسود العلاقات هذه الأيام هو نوع من التقلص في الرابطة وعدم التواصل في العلاقة فلم نعد نرى العلاقات العائلية على أكمل ما تكون وكذلك الأسرية كما أن علاقة الجيرة التي أوصى بها الرسول لم تعد في صورتها القديمة لقد اتسعت المسافة بين الجار وجاره زمانًا ومكانًا ولم تعد الروابط في مثل القوة التي كانت عليها منذ عهود مضت، وإذا كانت العلاقة بين الجيران والأصدقاء قد بدت على هذا النحو فإن الطامة الكبرى هى أن ينسحب هذا الفتور في العلاقة إلى علاقة المقربين وذوي الأرحام وهذا مربط الفرس بل يتنافى مع ما جاء في القرآن الكريم في العديد من الآيات التي تشير إلى أهمية صلة الأرحام والقربى والتي تقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾. [سورة الأنفال آية ٧٥] ولم يقف الأمر عند حد الآيات الصريحة التي نادت وأهابت بالمؤمنين أن يترابطوا ويصلوا أرحامهم بل لقد كانت هذه العلاقة مثار اهتمام الأدباء والشعراء منذ أقدم العصور فها هو الشاعر العربي يتغنى بكل واصل في شعره فيقول : ((وواصل كل ذي رحم وذو المجد لا يرضى عقوقًا ولا أذى ∴ فما على المرء في الأخلاق من حرج)).

وفي السنوات الأخيرة دخلت إلى عالم العلاقات بيننا مصطلحات وعبارات غربية وغريبة على مجتمعاتنا العربية ذات الروابط الوثيقة فما لبثنا نسمع عن عبارات غريبة "دعنا نتعامل كالإنجليز"، "ليس لدينا وقت"، "حدثته على الهاتف" وكأن الإنجليز صاروا بالنسبة لنا المثل والقدوة وكأن الوقت ضاع وفُقد من بين أيدينا بحيث لم نعد نجد منه إلا ما يتعلق بمصالحنا فقط. وكأن الهاتف أصبح هو النائب الأول عنا في تبادل المشاعر وتوصيل الأحاسيس وبدأنا بتغير في علاقتنا ببعضنا البعض وقد أحس البعض منا ممن مازالوا يتمسكون بنهج الدين والقيم الإسلامية بمقدار هذا التغير الحادث في العلاقات ولعل الستار قد كشف لنا – ونحن في نطاق العولمة – عن العلاقات الجامدة التي تتسم بها المجتمعات الأوروبية والأمريكية فتأخذ العلاقات شكلاً مختلفًا عنها في مجتمعاتنا العربية، وربما إننا لا نندهش ونحن نسمع عن هذه العلاقات السائدة في مجتمعات بعيدة عنا ذلك لأن الأسس التي تبنى عليها تختلف عن تلك التي تتقيم بها علاقاتنا هنا في المشرق العربي الإسلامي كما أن ديننا الحنيف يهيب بنا التمسك بهذه العلاقة والحرص عليها وعلى مواصلتها وتنميتها تقول الآية الكريمة. ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد آية ٢٢] وإضافة إلى ذلك فإن عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا تلعب دورًا كبيرًا في إضفاء الشكل الاجتماعي ذي الطابع الديني على هذه العلاقة، فالمجتمعات الغربية مثلاً لا تقيم وزنًا كبيرًا للروابط الأسرية فالشاب متى بلغ مرحلة الشباب انطلق إلى الحياة في استقلالية كاملة. وإن كانت هذه السمة يغلب عليها طابع الاعتماد على النفس إلا أنها تحمل في ثناياها بعدًا جامدًا في المشاعر وتفسخًا في العلاقة الخاصة بين الأب والأم وأبنائهما وربما أن الابن أو الابنة مثلاً قد تتزوج ثم تخبر أسرتها بذلك عن بعدِ وبطريق الهاتف وتتقبل الأسرة هذا النبأ بشكل عادي ومثلما تفتر العلاقة بين

الأبناء والآباء تنسحب هذه المشاعر كذلك على العلاقة بين الزوجين فالأب يتجه خارج المنزل يمارس نزواته وعلاقاته بنساء أخريات غير زوجته وربما فعلت الزوجة ذلك من قبيل العادات أو الانتقام مما يفعله الأب حيالها وقد تنتهي العلاقة بينهما في بعض الأحيان إلى الانفصال.

هكذا تتسم العلاقات الأسرية والعائلية في الغرب بشكل من الانفصال والفتور وربما الانهيار في بعض الأحيان. أما مجتمعاتنا العربية فهي تختلف كثيرًا وقد تصاب في عدد قليل منها بهذا المرض القاتل للروابط والعلاقات لكنها لا تمثل القاعدة في علاقاتنا وروابطنا الأسرية وقد تغنى الشاعر العربي عن العلاقات وصلة الرحم فقال: " لكل ذي رحم وقربى حرمة ∴ ولكل جار فارعها. واصل أخا رحم تكسب مودته ∴ وفي الخطوبِ تراه خير منتصر". ولكن مما يلاحظ في الآونة الأخيرة أن العلاقات العائلية وحتى الأسرية ربما تمر بأزمة تطبعها بالفتور والجفاء في العلاقات فهي تختلف عن ذي قبل لكنها على أي حال لا تمثل القاعدة في علاقاتنا وروابطنا العائلية والأسرية لأن مجموعة العادات والتقاليد التي نتمسك بها إنما تنبع من قيمنا الدينية ومن ثقافتنا العربية ومن وعينا بتراثنا الرشيد الذي يمتد بجذوره المتماسكة القوية ليقف جنبًا إلى جنب مع العقيدة الإسلامية التي تعد دستورًا للعلاقات والمعاملات الإنسانية وربما كان من أسباب نشوء هذه الأزمة في العلاقات هو ما ينتاب العصر من آلية وسرعة في العمل إلى حد يشعر معه الناس بضيق الزمان فلا يجدون متسعًا منه لأداء الواجبات والعادات الاجتماعية التي من المفروض أنهم نشأوا وتربوا عليها فأصبحوا يتباعدون ولا يكترثون بمشاعر بعضهم البعض، ويكتفون بالسؤال عن أقاربهم وذويهم بالهواتف وربما أنهم لا يلتقون إلا بالصدفة أو عندما تجمع بينهم المناسبات الضرورية .. فعندما تسألهم عن السبب في البعد أو الغياب أو الصمت عن السؤال؟ لا تسمع منهم إلا الشكوى من الزمن وكثرة العمل. والانشغال على مدار الوقت الذي ضاق بهم حتى لقد أصبح

الزمن هو المتهم الأول في أزمة العلاقات بين الناس. فما يمثله ضيق الزمن ودوام العمل وكثرة الانشغالات وصراع الأدوار وتعددها والسعي وراء طلب الرزق، أو التكالب على جمع المال، وغير ذلك من أسباب إنما يدخل في مقولة الزمن الذي لم يصبح للإنسان شريكًا فيه غير ذاته فقط!! إن الشخصيات العجولة، المحمولة على تيار اللحظة العابرة الذين يؤدون أعمالهم في سرعة وينظرون إلى ساعاتهم بين الحين والآخر ويلقون بالتبعة على الوقت وهو بريء من غفلتهم فالماضي يشهد بأن الزمان لم يتغير فما الذي تغير إذن فينا؟ الذي زاد علينا هو النفس الملهوفة، وصراع الحياة وبذلك أصبح الزمن النفسي هو المتحكم في الزمان العالمي فأحس الإنسان معه بالضيق والتوتر وقد دفعه ذلك للتمحور حول ذاته والانشغال بقضاياه الخاصة ومشكلاته الذاتية دون التطلع إلى الطرف الآخر أو حتى التفكير فيه والاهتمام به معنويًا حتى ولو كان من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء ...

وبعد هذه العجلة والزخم والانشغال والإحساس النفسي بضيق الوقت والتوتر الناتج عن صراع الأدوار وتعددها والسعي في طلب الرزق؛ ما هو حالة علاقاتنا الإنسانية بذوينا، بأرحامنا وحبايبنا وأقاربنا وحتى جيراننا الذين ينتظرون منا القرب والأنس والونس ولمسة الوصال وكلمة الود التي تشع حبًا تبتهج له النفوس وتفرح به القلوب التي تنتظر لم الشمل كما كان يحدث في الماضي.

إن ضعف الوازع الديني لدى الكثيرين منا يعد من بين الأسباب الرئيسية في أزمة العلاقات العائلية والإنسانية فمهما كان من أمر ضيق الوقت وكثرة الانشغال ففي مقدرة الشخص منا إعطاء كل ذي حق حقه وإذا كان كل واحد منا مهمومًا ومشغولاً في أمور عمله وتكسب رزقه للارتقاء بمستواه الاجتماعي فإنه لن يقلل من مشواره العملي بضع ساعات أسبوعية أو شهرية لزيارة الأقارب والمعارف للسؤال عنهم ووصلهم بغرض إشاعة جو من الحب والود بين أطراف العائلة إن ذلك الوصل العائلي هو إيمان وطاعة هو حب لله

وحب للناس هو تقوى والتزام بتعاليم الدين وتأسيًا برسول الله ﷺ ولو فيما تيسر من الوقت. إن العبارات العصرية التي دخلت قاموس المعاملات والعلاقات بيننا مثل "لا يوجد وقت" "مزدحم بالعمل" "مشغول" إلخ إلخ وغيرها إن هي إلا شماعة نعلق عليها ضعف الإيمان والالتزام الديني. فهذه العبارات مأخوذة من قاموس العصر "عصر السرعة والآلة" وكأن هذه الصفة التي اتسم بها هذا العصر مستنا ببعض من سيئاتها فالكثيرون منا آليون ومتعجلون في تصرفاتهم وأدائهم وكأنهم صناعة العصر بجموده ورتابته.

ولعل قليلاً من الانسلاخ عن هذه الآلية الحياتية مع الآخرين بنشر المودة والمحبة عن طريق الاقتراب من الآخرين ومواصلتهم والاستجابة لهم هو أمر مستحب لكل شخص مؤمن بدينه واثق بأن الحياة لا تحلو إلا بالآخرين ممن نحبهم ويحبوننا. ممن نهتم بهم، ويهتمون بنا وبأنه لا مذاق لحياة مختنقة بالعمل، معزولة عن الأحباب وذوي القربى حتى ولو كانت في الجنة. وأن تقوى الله ومرضاته والبركة في الوقت والمال لا تتأتى إلا بممارسة ما أمر به الله من التواصل والتواد والتراحم – مهما كانت الضغوط – فمقولة "ضيق الوقت" إن هي إلا واجهة تخفي وراءها ضعفًا إيمانيًا لدى الكثيرين منا ممن ينبغي أن يراعوا قداسة العلاقات الأسرية والعائلية وعلاقة الجوار والصداقة وغيرها من علاقات إنسانية، ولن يصبح هناك معنى أو خير أو نجاح لمن يحيا منا في علاقة انعزالية تثير الجحود، وتنخرط في العمل المادي ومكتسباته دون مراعاة للتواصل المستمر والقرب الدائم مع الآخرين من ذوي الأرحام في جميع المناسبات الاجتماعية والدينية وكذلك المداومة على الزيارات والسؤال المستمر الذي يمنح روح العائلة العربية الإسلامية جمالاً وحبًا ووصالاً يجدد أصالتها وينمي قيمها الدينية العظيمة عملاً بقول الخالق عز

وجل في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ صدق الله العظيم [سورة الرعد: آية ٢١].

(٢٥)
فن الرسم عند الطفل
(الفن والموهبة)

الإبداع عند الطفل يبدأ في سن مبكرة وهو يعني إظهار أشياء غير مألوفة جديدة وطريفة فالطفل يحاول الكتابة والرسم وهو في محاولة للتعبير عن حالته النفسية فكأنه فنان كبير يربط تفكيره بالعالم والخبرة من خلال رسم العالم الخارجي الذي يحيط به ويعتمد تقدم الطفل في الرسم على عاملين مهمين أحدهما يتعلق بتكوين علاقات مختلفة مع الأشياء والآخر يتعلق بقدرة الطفل على ربط الأشياء بعضها ببعض وفن الرسم عند الطفل يبدو طبيعيًا فالطفل يعبر عن إبداعه الخاص بحرية وبالممارسة المتواصلة وتشجيع الأسرة وقد ثبت في ضوء الدراسات السيكلوجية لفنون الأطفال أن إبداعية الطفل في الفنون مرتبطة ارتباطًا عضويًا بالخيال فمثلاً لو أمسك الطفل قلمًا أو طباشيرًا ولامس القلم سطحًا ما فيترك له آثارًا أو علامات خطية فوق ذلك السطح حيث تمثل له انتصارًا لذيذًا ومتعة نفسية وتحقيقًا لتحدي المادة والعالم أمامه فتظهر خطوط غير موجهة نحو هدف محدد في الواقع بل تمثل مجرد إشباع رغبة معينة عنده تشعره بالمتعة والسرور ومع تكرار هذه العملية تصبح خطوطه أفقية أو عمودية ثم دائرية أو حلزونية ويحصل عليها من حركات ذراعه وهي تعبر عن إيقاع جسمي وعضلي ومما يدفع الطفل لتكرار هذه العمليات رغبته في تقليد الكبار الذين يرسمون أو يكتبون حوله وبدافع من نفسه ثم ينتقل إلى ربط تفكيره بما يرسمه فتصبح خطوطه الأولى رمزية غير منظمة تبدو في خطوط متعرجة أو حلزونية أو مجموعة دوائر وزوايا غير منتظمة وأحيانًا نقاط غير منتظمة يعبر عنها بأسماء بابا، ماما.. داد وغير ذلك. وتظهر الكتابة مصاحبة لرسوم

الأطفال خاصة في المرحلة الابتدائية وهي كتابة مكملة للرسم والطفل عندما يكتب واحد يجب أن يرسم أمام هذا الرقم الشكل الذي يعبر عنه فمثلاً (١) حصان، (٢) بطة، (٣) عصفور، (٤) وردة، (٥) جمل وغير ذلك. وعندما يكتب التلميذ اسم الحيوان أو الطائر أو النبات أمام الرقم فمعنى ذلك أنه يفسر الرقم بالكتابة وعندما يرسم الشكل فهو بذلك يريد منا استيعاب ما يقصده. وأحيانًا يكون الموضوع المراد رسمه بجمل الكتابة لجزء من مقوماته الرئيسية وعند إبراز الطفل للكتابة ككتابة اسم المدرسة مثلاً على سيارة المدرسة التي تنقل التلاميذ كأنه يصف بدقة ما يود التعبير عنه في هذا الرسم وعندما يرسم محل السوبر ماركت ويرسم اسمه فوق الباب الخاص بالمحل أو بمعنى أدق يكتب اسم السوبر ماركت وهكذا. ولكي يكّون رسم الطفل فنًا لابد من توافر خصائص كثيرة لا تختلف عن تلك التي تكون الفن التشكيلي بصفة عامة فرسم الطفل حينما يتسم بالأصالة والتلقائية والوحدة فتتناسق عناصره بعضها مع بعض في الإيقاع وفي توافق وبذلك تكوّن نتيجة حالة نفسية وطبيعية مميزة لها طابع فريد وهنا يصبح الفن الطبيعي والتلقائي فنًا مدروسًا ومختبرًا وقائم على أسس صحيحة وهكذا نخلص مما سبق إلى أن الطفل يبدأ في الرسم بشكل طبيعي حيث يقلد من هو أكبر منه ويرتبط تفكيره بالعالم الخارجي من خلال رسم الأشخاص والأشياء الأخرى كما يرتبط الفن عنده بالحالة النفسية التي تظهر فيما يعبر به عن ذاته وشعوره والتي تشجعها وتساعدها التربية والتحفيز في المنزل وبشكل مستمر. فيجب على الآباء تشجيع الأطفال وبتعليق ما يرسمونه على جدران غرفهم الخاصة وإشعارهم بقبول ما يرسمونه وإظهار الإعجاب به حتى ننمي لدى الأطفال الحس الطبيعي والتلقائي للإبداع والتذوق الفني.

(٢٦)
الفن التشكيلي والإحساس بالمادة

يتكون العمل الفني من عناصر ثلاثة هي المادة والموضوع والتعبير وأول هذه العناصر هي "المادة" التي تمثل الأساس الذي يتكون منه العمل الفني لأن الفن يتجسد طبيعيًا من خلال مادته سواء أكانت حجرًا أو حديدًا أو نحاسًا أو صخرًا أو زجاجًا أو ورقًا أو رخامًا ولكل فنان طريقته في استخدام مادة فنه التشكيلي إن طريقته في التعامل مع مادة فنه تتم بعدة طرق تتوقف على نوع الخامة المستخدمة والهدف من استخدامها بحيث ينتهي العمل الفني إلى شكل مادي نافع يؤدي الغرض منه ولا نستطيع أن ننسى في هذا السياق الأسطورة الإغريقية القديمة التى كانت تحكي عن نحات يسمى بجماليون نحت جسد امرأة من المرمر الإغريقي وجسد فيها علامات الجمال الطبيعي الجذاب وعندما اكتمل عمله في التمثال جلس أمامه يقول شعرًا ويعشقه وهذا يدل على أن الفن يتشابه مع الحقيقة إلى حد كبير ويعد فن النحت تجسيدًا محفورًا حفرًا بارزًا أو غائرًا بحيث يرسم الواقع ويشكله في مادة ثقيلة وشبيهة بالطبيعة. أما في فن الرسم والجرافيك فإن الخيال الفني يرتبط فيه التصوير بالواقع فيعاد تجسيد عمق المكان وإبراز عنصر الإضاءة والظلال والزوايا والأبعاد وبذلك يغطي الفنان بقايا المادة على سطح اللوحة أو الورقة عن طريق الطلاء والتظليل وذلك بغرض خداع العين والإيهام بالحقيقة لكل من ينظر إلى اللوحة. وهكذا فالمادة في مجال الفن التشكيلي تعبر بلغتها الخاصة والدقيقة عن الموضوع الذي تعبر عنه والذي يتجسد من خلالها ويتشكل في صورة حيّه حاضرة تتفق مع الواقع إلى حد كبير. وهكذا تبدو المادة التشكيلية الصعبة المراس العنيدة الجامدة وهي تلين وتتشكل تصغر أو تكبر أو تتلون

بأي لون يريده الفنان ويستحيل شكلها الطبيعي الأول إلى ألف شكل وشكل إلى أن تصبح عملاً متشخصًا يعبر عما يعرف "بالنموذج الفني" وهكذا فالفن التشكيلي يعتمد في الأساس على المادة التي هي صُلب هذا الفن بل يتوقف عليها استراتيجية العمل الفني بصفة مطلقة سواء أكان في ميدان فن النحت أو فن الرسم والجرافيك فالفنان يشعر بالألوان وينسجم معها حين يستخدمها عندما يرسم لوحاته العالية الإبداع كما أن فنان الجرافيك يعبر عن مادته بأدوات فنه كالأقلام المتعددة الألوان والحبر وكذلك النحات يعبر عن تشكيله الفني بالحبر أو البرونز أو الصلصال وبالتالي تخرج الأعمال الفنية (النماذج) إلى الوجود الإنساني بعد رحلة صراع وتحدي مع آلية ورتابة وجمود وعصيان المادة وتمردها فيشعر الناظر للتمثال أو اللوحة أو قطعة الجرافيك أنه أمام عمل حقيقي ومبدع. وإن النماذج الفنية في مجال الفنون التشكيلية إن هي إلا استنساخ فوتوغرافي للواقع ولا يستطيع الفنان الماهر أن يعبر عن فنه في مجال الفن التشكيلي مالم يستخدم تقنياته بكل صورها كالمادة الخام والألوان والأدوات والأزاميل والمناشير فيكشف الفن بعد اكتماله روح الفنان الذي صنعه ويتميز بالقوة والعنفوان، أحيانًا وبالهدوء والتوازن والتعقل أحيانًا أخرى كما يتبدى ذلك من المقطوعات والمنحوتات الفنية فالإحساس بالمادة والتعامل معها أو ما يعرف بالتقنية الفنية (الصناعة الفنية) تتنوع بشكل كبير إلا أنها مع ذلك ذات خصوصية وتفرد وفي النهاية هي بصمة شخصية للفنان الرسام أو الجرافيكي أو المثال أو غيرهما ممن يحسون بالمادة ويتفاعلون معها ويجسدون الفن التشكيلي.

(٢٧)
الجمـــال والإيمـــان

الحياة وهمس الجمال

- إن عمـر الفـن وتـاريخ الـوعي الجمـالي هـو عمـر الإنسـان وتـاريخ حياتـه فالإنسـان هو ذلك الكائن الذي وهبه الله عز وجل القدرة علـى الإحسـاس بالجمـال وتـذوق الفنـون وبالتـالي القـدرة علـى الإبـداع والخلـق الفنـي الـذي يتذوقـه ويشـعر بـه فـي كـل مـا يحـيط بـه مـن مظـاهر الحيـاة الطبيعيـة والصناعية من حوله فالله جميلٌ يحب الجمال.
- مـا هـو الجمـال إذن؟ إنـه الإحسـاس الـذي يسـري فـي نفوسـنا متـى اسـتمتعنا برؤيـة الجمـال والإبهـار فيتجسـد فـي حياتنـا يغمرهـا فـي جميـع مظـاهرهـا وألوانها الطبيعية أو الصناعية.
- إن الجمال هو ذلك الشكل من أشكال الفكر المنعكس على نشاطه الذاتي وهو الذي جعل الإنسان يشيد المعابد والكاتدرئيات والقصور، كما ينحت التماثيـل ويرسـم اللوحـات ويؤلـف الألحـان والأنغـام والسـيمفونيات ويـنظم الأشـعار. ويتغنـى بـالكون وبالحـب وبالعدل والحـق ويعشـق القيم. ومـا مـن شك في أن الرسام الذي يمسك بريشته ليرسم العاصفة أو النحات الذي يكد في نحت التمثال الجميل إنما قد استمد مقومات فنه من بين أحضان العالم المحيط بـه فالعـالم هـو بدايـة الإحسـاس بالجمـال ورؤيـة الطبيعـة السـاحرة حولنا وهي تتبض في أبهى صورها خلال الزمان والمكان، هي تجسد لـه وتـدفق للشـعور بـه فـي أعماقنـا. إن الجمـال يبـدو أمامنـا سـابح فـي الكـون ومرئي في كافة ما نتأمله من جمال في مظاهر العالم الطبيعي من جمال الأزهـار وتناسـق الأشـجار وألـوان النباتـات الزاهيـة وأصـوات تغريـد الطيـور وفـي أضـواء الشـمس والقمـر وخريـر المـاء وهمـس النسـمات وحفيـف الأوراق

وهكذا يبدو الكون في أجمل صورة فيستمتع الإنسان بجلال وجمال الخالق في خلقه. والجمال يتجسد في حياتنا في آلاف الطرق والوسائل فهو موجود في عالم الفكر والفن وفي عالم الأدب تبرزه فنون النثر والشعر متمثلاً في القوافي المبدعة، وفي فصول القصص الأدبية المثيرة التي تفيض حركة وحياة وفي أسلوب الأدب الذي يكتبه الأديب الفنان بفيض تجربته وعاطفته الجياشة التي تمثل أجمل وأغلى تجارب وجوده. أما الموسيقى فإن إيقاعها الخالد الذي تطرب له النفوس يبرز الجمال في أسمى معانيه كذلك ما تعبر عنه لمسات المصورين السحرية من جمال حين تصور الواقع في حيويته وحركته فيحس المشاهد فيها بقيمة الابتكار والخلق الجميل الذي يبرز في انسياب الخطوط وانسجام الألوان، وفي إيقاع الحياة وهدوئها.

- لقد كان موضوع الجمال مثار تساؤل الإنسان منذ أقدم العصور تختلف حول مصدره وموضوعه الآراء فقد أرجعه البعض إلى هبة الإله الخالق في حين أرجعه البعض الآخر إلى مصدر روح شيطاني ونهوا عن البحث عنه.
- وتعتبر القيم الدينية ونصوص القرآن الكريم مصدرًا للجماليات فلا شك أن القرآن الكريم يحفل في جميع آياته بدعوة الناس إلى استلهام عظمة الكون وروعته وإبداعه. ولم تكن هذه الدعوة التي شجعها الإسلام مجرد دعوة للإسهام في تقدم الإنسانية العلمي والتجريبي بقصد تحسين حال الإنسان فحسب بل كان الهدف منها تنمية شعور الإنسان بالجمال والإبداع الذي يغمر الكون فدعى القرآن الكريم إذن الناس إلى تأمل الملكوت والنظر إلى الطبيعة للكشف عما تنطوي عليه من إبداع وفن يغمر الكون كله. إن دعوة الإسلام إلى الجمال تعني دعوة إلى تهذيب الإحساس الإنساني بالجمال والسمو بالخليقة إلى الوجدان الحي مع البيئة والإحساس المباشر بعظمة الخالق سبحانه وتعالى ودليل ذلك ما تميز به أسلوب القرآن الكريم من

جمال وروعة بدت في الصور والتشبيهات البلاغية التي تصور مظاهر الكون الجميلة والمُعجزة بشكل حسي وجمالي وروحي في آن واحد. والآيات القرآنية تزخر بمخاطبة الناس في مشاعرهم وتحرك ذوقهم الفني وخيالهم الرحب مما يؤكد وجود الفطرة التي جَبَل الله الإنسان عليها وهي فطرة الإحساس بالجمال وتذوق الفنون وحساسية الشعور التي يتناول بها الإنسان جميع مظاهر الكون بالإجلال والإكبار والتسبيح بحمد الله وقدرته المبدعة في خلق الكون وتصويره في أحسن صورة ممكنة فالله جميل يحب الجمال.

(٢٨)
فن قيادة الزمن

تحتاج رحلة التعليم يا ابنتي للوقت كما تحتاج لصفاء الذهن وللنشاط والعمل وإذا كنت في كفاحك مع التحصيل والدراسة تحلمين بمستقبل كبير فعليك دائمًا باغتنام الفرصة وسط زخم العمل العلمي والثقافي ومزاملة الكتاب وإلا فلن تحققين مكسبًا كبيرًا فالزمن يا ابنتي هو نفس الزمن الذي نحيا فيه جميعًا فمن ينام يتساوى زمنه مع من يعمل داخل منظومة الحياة ومن ينعم بالاسترخاء يتساوى زمنه مع من ينشط ويتفاعل فالزمن ثابت لا يتغير ونحن الذين نتحداه وننعته بالسريع الخطى، والعجول، والمنسل وأنجح وسيلة للحفاظ على هذا الزمن من التسرب والهروب هي العمل والدأب. ومع أنه قد يسرع أثناء لحظات العمل والكفاح لكن نتائجه سرعان ما تثمر في النهاية نجاحًا وتفوقًا فتمرسي يا فتاتي على ترويض الوقت ورشدي استثماره فيما يفيدك فما هي منظومة اليوم الجامعي بالنسبة لك إنها رحلة كل صباح لحضور المحاضرات في الصباح وحتى الظهيرة ثم الذهاب للمكتبة فيما تيسر من الوقت للحصول على المراجع أو الذهاب لمعمل الكومبيوتر للتزود بالمعلومات، أو الاستراحة لأخذ المشروبات على المقاعد الخشبية المخصصة لك وسط حدائق كليات الطالبات وهكذا يمضي بك الوقت داخل حرم الجامعة وماذا بعد مغادرتك لهذا الحرم؟ ماذا تقدمين لنفسك ولعقلك هل أنت عازفة عن المضي في توظيف الوقت والانسلاخ من مسؤلياتك باللجوء إلى المكالمات الهاتفية الطويلة أو النوم العميق للهروب من الواقع أو الخروج للتسوق أو التنزه بغرض إضاعة الوقت أم أنك عازمة على التحكم في قيادة وقتك بشيء من التنظيم المحكم بين ساعات النوم والراحة والترفيه والتحصيل. إن الإنسان المتحضر لا

يستطيع العمل والإنجاز بدون تحديد للزمن الذي يعمل فيه ولو ترك الإنسان لحاله وعلى سجيته وهواه أثناء أداء العمل لما استكمل مشروعًا ولما قامت حضارة على وجه الأرض. فالوقت هو القالب الذي يتشكل فيه العمل أيًا كان نوعه ولما كان هذا الوقت غير محسوس فقد يسهل تسلله من بين أيدينا إذا لم نحسن استغلاله وقيادته وتعد طريقة "الجدول المكتوب" من أهم الطرق التي تساعد على تنظيم وقتك بشكل دقيق وهي طريقة تعتمد على الحساب الدقيق للوقت منذ استيقاظك صباحًا وحتى ساعة نومك في المساء بحيث توزعين طبقًا لهذا الجدول ساعات العمل بنسب معينة على مدار الأسبوع بحيث يتخللها ساعات النوم والترفيه التي يجب أن تكون على مدار ساعة أو ساعة ونصف على الأكثر على أن تضم كل من الراحة والترفيه معًا كما يجب في هذا الجدول أن تتجنبي استذكار مساق واحد على مدار الأسبوع لأن تنوع المساقات يعطيك مزاجًا نفسيًا عاليًا وراحة عقلية وتحصيلاً جيدًا فتشعرين في نهاية الأسبوع أن تنظيم وقتك حسب الجدول قد دفعك في طريق التحصيل بشكل ممتاز وهكذا تُجيدين بهذه الطريقة الجادة والعملية "فن التحكم في الزمن والتعامل معه" وهذا الفن يعني أنك أجدت صياغة وقتك في كل ما يحقق لكِ فائدة وأغلقت أبواب العجز والكسل، وفتحت أبواب النشاط والكفاح الممتع الذي تحصدين من خلاله ثمرة مجهودك فيما تحصلينه من درجات متميزة في نهاية الفصل الدراسي. فيا ابنتي الجامعية اعملي جيدًا كما يحثنا الدين تقول الآية الكريمة ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۖ﴾ ولا تؤجلي عمل اليوم إلى الغد فإن الغد يوم الحاجزين وأعلمي أن الوقت كالسيف إن لم تقطعيه قطعك وأخيرًا لك الوقت بثمراته والعمل بكمالاته والنجاح بأمنياته.

(٢٩)

العمل والمبادرات الإبداعية

النجاح حاجة إنسانية ودافع غريزي في الإنسان فالمخلوق يتحرك ويتحفز بغرض تحقيق النجاح وكل امرئ في مجال عمله ينحو نحو تحقيق النجاح لأنه دافع وفطرة فيه وحافز يسعى إلى تحقيقه في كل زمان ومكان وعلى كافة المستويات العملية والنظرية. ولقد علمتني تجربتي أن طريق النجاح ليس معبدًا ميسورًا بل طريقًا وعرا تفترشه الأشواك وتحفه الصعاب والعراقيل وعلى المرء الاجتهاد لإزاحة الأشواك وتخطي الصعاب والعراقيل ولن يتأتى ذلك بغير الصبر والإيمان بقيمة الكفاح في العمل والارتفاع بمستوى الأداء وذلك عن طريق البذل والتضحية واستثمار الوقت والاعتماد على الله من قبل ومن بعد. والتفكير في النجاح تلازمه القدرة على العمل والابتكار لأننا نعلم بطبيعتنا أن النجاح قرين العمل والعكس صحيحًا ولو كان الإنسان غير عامل أو مجتهد في الابتكار والإبداع ولا يمتلك مهارات خاصة تميزه عن غيره من مخلوقات الطبيعة لِما قامت حضارة على وجه الأرض ولما استطاع العقل الإنساني أن يجد فرصته في الاختراع والتقدم منذ آلاف السنين.

وما نشاهده اليوم من مبدعات العقل البشري ومنجزات الحضارة الإنسانية إن هو إلا محصلة العمل والجهد الإنساني المدفوع بحافز النجاح والتقدم على مر العصور. ودائمًا يعمل الإنسان. فالإنسان عاملُ وديناميكي والعمل صفة له وعلامة على وجوده وقد أشار الدين إلى العاملين ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فالعمل عبادة وطاعة ومسايرة للفطرة الإنسانية العظيمة والعمل خلق وتجديد وابتكار موصول وهو يحتاج لكفاح المرء المتصل الدؤوب الذي لا يكل ولا يمل من دوام العمل فقيمة الحياة في العمل، وحلاوة النجاح تترتب عليه. فالعمل كرامة وشرف وهو إنسانية

وحرية وتسامي بالنفس المؤمنة والعقل الفعال وهو استعلاء بالإنسان الخلاق الذي أنعم الله عليه بالعقل والإرادة وأورثه الأرض وجعله متحركًا عازمًا مريدًا فعالاً بناءً متفاعلاً وناشطًا ومبدعًا منذ بداية الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولما كان العمل قاعدة النجاح وكان النجاح قرين العمل وطريقه الوحيد وكان العمل رمزًا للنجاح ودافعًا له فيجب علينا الحرص عليه لكي نحقق النجاح ولكن أي عمل ذلك الذي يحقق النجاح؟ إن العمل العادي الروتيني وحده غير كاف بتحقيق النجاح إن لم يكن مصحوبًا بلمسة الإبداع والابتكار وإضافة الجديد والطريف فالذين يؤدون عملهم بمهارة وفن في الأداء يحققون نجاحًا أكثر ممّن يؤدونه بشكل روتيني وكأداء لواجب فحسب فيعملون وهم يفتقدون الحافز والهمة والنشاط والدقة إن الواقع يشهد بأن العاملون غير متساويين في طريقة الأداء أو في سرعة أو دقة الإنجاز فيما يكلفون به من أعمال ومهام .. وهنا يأتي التفاوت في الأداء بين شخص وآخر وهو يتوقف على المقومات الشخصية والعوامل النفسية المحيطة بصاحب العمل وهذا ما يكشف عنه واقع الوظائف والمهن والمهام العملية للإنسان وعليه فإن تقييم الأداء هو المعول الأول الذي يترتب عليه النجاح في العمل من عدمه فليس كل من يؤدون أعمالهم العادية يعدون من الناجحين لأنهم لا يؤدون إلا ما يكلفون به فحسب وهنا يبرز التساؤل عن أهمية تقييم الأداء لأصحاب العمل الذين هم نحن العاملون من أجل الحياة، والمبدعين من أجل تحسين الواقع ورفع شأنه.

(٣٠)
أطفال الشوارع والمستقبل

أطفال الشوارع لفظة مؤلمة وعبارة غريبة لا تحمل أي معنى إنساني أو لغوي أو اصطلاحي إنها جملة لا معنى لها لأن الشوارع ليس لها أطفال فهي لا تُنجب إلا أشجارًا أو أحجارًا، أما الأطفال فهم نتاج الأسرة الحقيقية أي كانت مكانتها الاجتماعية من الغنى أو الفقر.

إن الطفل هو ناتج الأسرة لأنه ثمرتها الأولى والأصيلة وعندما يكون للشوارع أطفال تكون هناك مشكلة تنتظر حلاً وعلاجًا والطفل لا يأتي من فراغ لكنه نتاج لعلاقة مشروعة أو غير مشروعة بين رجل وامرأة وعندما نتوجه بالحديث عن أطفال الشوارع إنما نركز الضوء على لفظة الطفل بداية فمن هو هذا الطفل أولاً؟

ومن هو طفل الشارع. الطفل هو ابن الأسرة في نطاق مشروعية الزواج وإقامة الأسرة. أو هو نتاج التفكك الأسري والعلاقات الغير مشروعة والمحرمة والشارع هو الذي يستقبل الأطفال الوافدين إليه من خلال هذه العلاقات الغير سوية والغير مشروعة.

طفل الشارع إذن هو ذلك الطفل الذي ألقى به في الطريق أو وجد نفسه في الشارع بغير إرادة منه أو اختيار. هو الطفل التائه بلا أسرة، الضائع بلا هدف– هو الطفل الذي له بداية لكن لا يعرف نهايته ولا مستقبله. يضيع منبوذًا من المجتمع محرومًا من مقومات الحياة الأسرية الكريمة.

إن أصعب ما يواجه الطفولة هي أن تجد كيانها داخل الشوارع ففي هذا الشارع تتشرب الحرمان وتعرف اليتم والحزن والمعاناة التي تدفع للتشرد وتسهم

في تأصيل الجريمة انتقامًا من مجتمع يتنكر لها ويفرق بينها وبين أندادهم من الأطفال الآخرين كما أن حياة الشوارع تنمي لديهم مشاعر الكراهية والحقد التي تدفع للانتقام من المجتمع بسلوك التسول والسرقة والنصب والاعتداء وإنتهاج البلطجة على الآخرين.

إن مشكلة "تشرد الطفولة" مشكلة عالمية تواجهها المجتمعات العالمية بشكل عام لكنها تختلف من مجتمع لآخر بحسب ظروف وإمكانات الحلول التي تقدمها المجتمعات لأطفالها المشردين ولكنها تحتاج لتضافر الجهود وإخلاص النوايا والمساهمة الفعالة والقلوب الرحيمة لحلها.

وأزعم بأن مجتمعنا المصري العربي الإسلامي لن يضن أبدًا على أطفالنا بالجهد أو بالمال في سبيل تحصين مستقبلهم ورأب صدع أيامهم وبإضاءة شمعة في ظلام ليلهم وتعويضهم عن أقدارهم بحيث يمكننا أن نطلق على مشكلتهم الاجتماعية – التي تسير في طريق الحل – اسم "أطفال المستقبل" لا "أطفال الشوارع".

(٣١)

(من وحى ثورة ٢٥ يناير)

من منكم يحبها حبي لها

مصر التـي فـي خـاطري وفـي فمـي — أحبهـــا مـــن كـــل روحـــي ودمــــي

هذه هي مصر التي دائمًا تعيش في خواطرنا ونحبها من كل أرواحنا ودمائنا. إنها بيئتنا، مهدنا، وطننا إنها بلدنا وبيتنا وهانحن نتحدى بهذا الحب الفطري العميق من منكم يحبها مثلي أنا؟ من منكم سيفتديها بالعزيز الأكرم؟ من منكم يحبها حبي لها؟

هذه هي بلدنا التي نجاهر بحبها ونتحدى بها ونضحي من أجلها هذا هو الوطن وبعد أن نخرج من أبيات قصيدة أحمد رامي ونرتفع فوق كلمات النشيد ومديح الشعراء بعد أن نسمو فوق ألحان الأغاني نسأل أنفسنا؟؟ ما هو دورنا في إبقاء هذا الحب حيًا ناميًا متواصلاً ومعطاءً.

إن حب مصر يمثل نمطًا غريبًا من الحب مثاليًا في مشاعره، هو نمط من الحب يختلف عن كل أنواع الحب الذي عرفه الإنسان إنه حب يتجه نحو الآخر وينكر الذات إنه حب يغلق ملف الأغاني ودواوين الشعر ومديح الشعراء أنه حب ينأى عن الشعارات أو الإعلانات التي نهتز لها طربًا وسعادة. إن حب مصر عطاء وتضحية، إيمان وجهاد إيجابية ومشاركة، انفتاح وتقبل، احترام للقوانين وامتثال للمعايير، كما أن معناه العمل الدائب، والنشاط الدائم لخدمة بلدنا ليس بالأقوال ولكن بالأفعال، ليس بالنقد الهدام الذي يسبب الإحباط ويدفع للفشل ويشيع اليأس بيننا ولكن بالنقد البناء الذي يبعث على الأمل ويدفع للعمل والحركة ويحلو معه الصبر ويتجمل فيبدع المواطن المصري ويجوّد في جميع مجالات وميادين العمل والإنتاج.

وما أحوجنا في هذه الآونة من وقفة مع ذواتنا نحاسبها وننقدها ذاتيًا ونعيش فيها مشاعر الحب الصادق لبلدنا التي ننتمي إليها وقفة نحاسب فيها أنفسنا ونعاتبها عما فعلناه من جرائم لم يحاسبنا عليها القانون ومن مخالفات جسيمة غفلنا عن إدراكها بدقة قبل الوقوع فيها لقد أعطانا الله عز وجل ولم نرض فكثر فينا الطامعون والانتهازيون والوصوليون والمليارديات الذين يثرون على حساب الطبقة المكافحة من شعبنا البسيط المكابد، كما كثر فينا المنافقون الذين يقولون مالا يفعلون ويعتمدون الأوراق والأقوال دون الأفعال والأعمال ذات المردود العملي والنافع لدى الصالح العام وكثر فينا الأنانيون والنرجسيون الذين لا يعنيهم من أمر دنياهم إلا مصلحتهم الخاصة التي لا تتعدى حدود مساكنهم التي يقيمون فيها شبرا واحدًا فلا تعنيهم البنايات أو الشوارع أو الميادين أو قواعد المرور وأصولها أو شكل المدينة العام أو مراعاة الجار. لقد أصبحت الغالبية العظمى منا غير معنية بغير مصلحة ذاتها الخاصة فبعدت الهوة بيننا وأصبحنا فرادى ولسنا جماعة ذات هدف واحد وطريق مرسوم وكأننا في هذا الزمن نسير على جناح السرعة محمولين على لحظة المنفعة المؤقتة لا يرى أحدنا الآخر إلا من خلال حب نفسه لا حب الآخر الذي هو حب مصر وأصبح الجميع مشغولين بأحوالهم وهمومهم الخاصة وكأننا نعيش في لحظة نهاية العالم يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

ونسينا يا مصر ونحن نحقق المكاسب العاجلة ونشغل بأنفسنا أننا يجب أن نحافظ على حبك واسمك ونيلك وشمسك وتاريخك في خواطرنا وأفواهنا وأرواحنا ودمائنا فنحب الآخر ونؤمن بالانتماء ونؤدي الواجب ونفعل الخير ونحب الجمال ونعشق النظام ونحترم القانون. كل هذه الألوان من الأفعال والسلوكيات تجسد المعنى الحقيقي لهذا الحب.

(٣٢)
الحياة والأداء الفني

لا شك أن عمر الفن وتاريخ الوعي الجمالي هو عمر الإنسان وتاريخ حياته فالإنسان هو ذلك الكائن الذي وهبه الله عز وجل القدرة على الإحساس بالجمال وتذوق الفنون وبالتالي القدرة على الإبداع والخلق الفني في كل ما يستعمله ويراه في حياته فيشعر بقيمة عمله وبالجمال في كل ما يحيط به من مظاهر الحياة الطبيعية والصناعية من حوله، فالله جميل يحب الجمال .. لكن ما هو الجمال؟ وماذا يقصد به؟ وهل هو شيء مادي أم معنوي أم غير ذلك؟

إن الجمال هو ذلك الإحساس الذي يسري في نفوسنا متى استمتعنا برؤية الجمال الذى يتجسد في حياتنا في جميع مظاهرها وألوانها الطبيعية أو الصناعية، والإنسان مخلوق يحس بالجمال ويشعر به في عناصر الطبيعة ومظاهرها المختلفة فهي آية من آيات الإبداع الإلهي في خلقه وهذا يحسه الإنسان ويعيش معه بوجدانه وإحساسه الجمالى .. وذلك أن الإنسان خلقه الله بفطرة الإحساس الجمالي أو (الحس الجمالي) تمامًا كما وهبه العقل والإرادة وغير ذلك من ملكات تميزه عن غيره من الكائنات في مملكة الطبيعة التي هي عالم الإنسان والحيوان والنبات. إن الإنسان كائن مفكر وهو أيضًا عاقل ومتأمل هكذا عرفه الخالق عز وجل وقال عنه في كتابه العزيز الذين يفكرون فى خلق السموات والأرض .. وأولى الألباب. والذين يتأملون وغير ذلك من العبارات والآيات الدالة على احترام قدرة الإنسان على النظر والتأمل في ملكوت الله سبحانه وتعالى وبالتالي الكشف عن معجزة الجمال والجلال في هذا الكون الرحب. الإنسان إذن (مخلوق جمالي) أو إن صح هذا التعبير (مخلوق فنان). وعندما يعمل أى يصنع أو يصمم أي عمل صغيرًا كان أم كبيرًا فإنه عندئذ

يصبح في لحظة (العمل والابتكار والتصميم والإتقان) فنانًا. وقد تعودنا أن نسمع في حياتنا المعتادة عن هذا الطبيب الفنان – أو هذا الصانع الفنان. أو هذا العامل الفنان. فالمهنة حتى ولو كانت بسيطة إنما تنطوي أثناء ممارسة أي أداء فى مراحلها على جانب فنى هام. وكل من يقوم بعمل هو فنان حينما يؤدي هذا العمل – وأثناء محاولته تأديته بجد واجتهاد وعناء وعنت في بعض الأحيان. هنا يصبح الإنسان فنانًا فعالاً في مواقفه في الحياة العملية وتخرج لفظة الفن هنا من دائرة الفنون كما يفهمها الناس بمعنى الفنون التطبيقية – الجميلة – التشكيلية – فنون الغناء – الموسيقي – فنون المسرح. والروايات والمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية.. وغير ذلك يخرج الفن .. أو لفظة الفن بتعبير أدق من حيز التابلوه – الصورة – الحركة – الإيقاع – الصوت – الضوء – اللون – وغير ذلك إلى إيقاع وفعاليات الحياة. يدخل الفن من مجال القيم المعاملات – السلوكيات – العمل – إن هذه الميادين تنطوي على أساس فني واضح غير أن الإنسان لا يتوغل داخل ذاته لكي يتأمل فى ممارسة العمل أو أداء الواجب الاجتماعي، أو أداء الواجب الثقافي المنوط به أو غير ذلك من سلوكيات وتصرفات – إن الفن جمال والفن سلوك ومواقف وعندئذ يصبح سقف حياتنا أي المظلة التي تظلل حياتنا بشكل عام مؤسسة على عمل فني ومحسوس بإحساس جمالي.. ولو لم تكن حياتنا على هذا النحو فعلى أي نحو يمكن أن نتصور حياتنا الإنسانية.